الخُطْبَةُ الْأُولَى

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وَبَعْدُ:

فَإِنَّ نُزُولَ الْوَحْيِ فِي مُجْتَمَعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ، كَانَ مِنَ الْبَشَائِرِ الْكُبْرَى الْمُنْتَظَرَةِ عَلَى الدَّوَامِ فِي ذَلِكَ الْمُجْتَمَعِ النَّبَوِيِّ الطَّاهِرِ، فَمَا أَنْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى انْقَطَعَ الْوَحْيُ بَعْدَ كَمَالِ الدِّينِ وَتَمَامِ النِّعْمَةِ، فَاخْتُتِمَتِ الرِّسَالَةُ، بِخَاتَمِ النَّبِيِّينَ ﷺ، فَلَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ، قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تُرَى لَهُ». أخرجه البخاري.

أَيْ إِنَّ الْوَحْيَ يَنْقَطِعُ بِمَوْتِي، وَلَا يَبْقَى مَا يُعْلَمُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبُشْرَى إِلَّا مَا سَيَكُونُ مِنَ الرُّؤْيَا، يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣)﴾ [سورة الروم: ٢٣].

فَالنَّوْمُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ الْعُظْمَى، يَرْتَفِعُ بِالنَّوْمِ الْحِسُّ وَالْإِدْرَاكُ وَالشُّعُورُ، وَتُفَارِقُ الرُّوحُ الْجَسَدَ مُفَارَقَةً لَيْسَتْ تَامَّةً كَمَا فِي الْمَوْتِ، فَلِتِلْكَ الرُّوحِ تَحَوُّلَاتٌ وَتَنَقُّلَاتٌ وَأُمُورٌ غَيْبِيَّةٌ لَا نُدْرِكُهَا، فَتَرَى تِلْكَ الرُّوحُ فِي مَنَامِهَا أُمُورًا مِنْهَا مَا كَانَ مِنَ اللهِ أَطْلَعَهَا اللهُ عَلَيْهَا، وَمِنْهَا مَا كَانَ مِنْ تَلَاعُبِ الشَّيْطَانِ فِي تِلْكَ الرُّوحِ، وَمِنْهَا مَا كَانَتْ تِلْكَ الرُّوحُ تُحَدِّثُ بِهَا نَفْسَهَا قَبْلَ النَّوْمِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

وَلَمَّا كَانَتِ الرُّؤْيَا بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ فِي اتِّصَالِهَا بِالنُّبُوَّةِ، كَانَ التَّلَاعُبُ فِي رِوَايَتِهَا أَوْ تَأْوِيلِهَا مِنَ الْكَذِبِ الْكَبِيرِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرَى أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ، أَوْ يَقُولَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَقُلْ».

وَمَعْنَى: "أَنْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ"، أَيْ: أَنْ يَقُولَ رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَذَا وَكَذَا وَهُوَ كَاذِبٌ لَمْ يَرَ ذَلِكَ.

فَإِذَا رَأَى الْإِنْسَانُ فِي مَنَامِهِ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَلْيُحَدِّثْ بِهَا مَنْ يُحِبُّ، وَيَثِقُ فِي دِينِهِ وَأَمَانَتِهِ وَخُلُقِهِ، وَلَا يُحَدِّثُ بِهَا كُلَّ أَحَدٍ، إِذْ إِنَّ لِلشَّيْطَانِ فِي ذَلِكَ حُضُورًا وَكَيْدًا، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّ اللهِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُوَجِّهًا لِابْنِهِ نَبِيِّ اللهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [سورة يوسف: ٥].

وَإِذَا رَأَى الْإِنْسَانُ فِي مَنَامِهِ مَا يَسُوؤُهُ وَيَكْرَهُهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ، وَلْيَنْتَقِلْ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنْ نَوْمِهِ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ بِإِذْنِ اللهِ.

فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَالحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلُمًا يَخَافُهُ فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، فَإِنَّهَا لاَ تَضُرُّهُ».

قَالَ أَبُو سَلَمَةَ رَاوِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ: "وَإِنْ كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا أَثْقَلَ عَلَيَّ مِنَ الْجَبَلِ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ فَمَا أُبَالِيهَا".

أَلَا فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الرُّؤْيَا إِمَّا مِنَ اللهِ أَوْ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمِنَ الْأَحْلَامِ مَا يَكُونُ أَضْغَاثًا أَوْ حَدِيثَ نَفْسٍ، فَلَا تُبَالِغُوا فِي التَّعَلُّقِ بِهَا، وَلَا فِي السُّؤَالِ عَنْهَا، وَلَا تُعَلِّقُوا آمَالَكُمْ بِأَحْلَامِكُمْ وَمَا حَمَلَتْهُ مِنْ غَيْبٍ مُحْتَمَلٍ، فَإِنَّ الْفَلَاحَ وَالنَّجَاةَ فِي التَّعَلُّقِ بِكَلَامِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ.

أَقُوْلُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ للهِ عَلَى إِحْسَـانِهِ، وَالشُّـكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْـهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى رِضْوَانِهِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ تَأْوِيلَ الرُّؤَى مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي يُلْهِمُهَا اللهُ مَنْ شَـاءَ مِنَ الصَّـالِحِينَ مِنْ خَلْقِهِ، كَانَتْ لِلْأَنْبِيَاءِ تَثْبِيتًا فِي أَشَـدِّ الْمِحَنِ، وَهِيَ وَحْيٌ لَهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ، قَالَ اللهُ عَلَى لِسَـانِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّـلَامُ مُخَاطِبًا ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [سـورة الصـافات: ١٠٢].

عَلَّمَ اللهُ نَبِيَّهُ يُوسُـفَ عَلَيْهِ السَّـلَامُ عِلْمَ التَّأْوِيلِ، فَكَانُوا يَسْـأَلُونَهُ عَنْ رُؤْيَاهُمْ طَمَعًا فِي التَّأْوِيلِ وَتَشَوُّفًا لِلْغَيْبِ.

فَسَـأَلَهُ مَنْ فِي السِّـجْنِ فَعَبَّرَ لَهُمْ، وَسَـأَلَهُ الْمَلِكُ فَعَبَّرَ لَهُ، وَقَدْ وَقَعَ مَا عَبَّرَ بِهِ نَبِيُّ اللهِ يُوسُفَ، بِمَا عَلَّمَهُ اللهُ مِنْ فَهْمِ الرُّؤَى وَتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ.

وَقَدْ بُشِّرَ نَبِيُّنَا ﷺ بِفَتْحِ مَكَّةَ بِالرُّؤْيَا -رَآهَا فِي مَنَامِهِ-، ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧)﴾ [سورة الفتح: ٢٧].

وَلَازَالَ هَذَا الْعِلْمُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا وَإِلَى قِيَامِ السَّـاعَةِ يُعَلِّمُهُ اللهُ مَنْ شَـاءَ مِنْ عِبَادِهِ، حَتَّى يَرَى بَعْضُ عِبَادِ اللهِ الرُّؤْيَا كَفَلَقِ الصُّبْحِ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: "وَعِلْمُ تَأْوِيلِ الرُّؤْيَا مِنْ عُلُومِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ".

وَقِيلَ لِلْإِمَامِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللهُ: "أَيُعَبِّرُ الرُّؤْيَا كُلُّ أَحَدٍ؟ قَالَ أَبِالنُّبُوَّةِ يُلْعَبُ؟!

وَقَدْ شَـاعَ فِي زَمَنِنَا الْيَوْمَ تَلَاعُبُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بِالرُّؤَى وَالتَّأْوِيلِ، حَتَّى نَصَّـبَ نَفْسَـهُ عَلَى وَسَـائِلِ التَّوَاصُـلِ وَالْإِعْلَامِ مَنْ لَا يُعْرَفُ بِفِقْهٍ وَعِلْمٍ، وَلَا يُشْـهَدُ لَهُ بِإِيمَانٍ وَتُقَى، فَصَـارَ يُبَشِّرُ وَيُنَفِّرُ، وَيُوَجِّهُ وَيُحَذِّرُ، حَتَّى صَارَ بَعْضُهُمْ سَبَبًا فِي قَطْعِ الرَّحِمِ وَإِفْسَادِ الْعَلَائِقِ، أَوْ مَحَطَّةً لِلتَّرْفِيهِ وَتَوَقُّعَاتِ النَّتَائِجِ الرِّيَاضِـيَّةِ وَغَيْرِهَا، فَأَصْـبَحَ التَّأْوِيلُ بَابًا لِلرِّزْقِ وَالتَّكَسُّـبِ وَاسْـتِغْلَالِ ضِعَافِ النُّفُوسِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْعَبَثِ وَضَعْفِ الْإِيمَانِ.

فَاتَّقَوْا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلرُّؤَى وَتَأْوِيلِهَا فِي الشَّـرِيعَةِ أَحْكَامٌ، فَلَا تُعَلِّقُوا آمَالَكُمْ بِأَوْهَامٍ، وَلَا تُسَلِّمُوا عُقُولَكُمْ لِضِعَافَ النُّفُوسِ وَالْأَحْلَامِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ عَلَى النَّاسِ مِنْ مَوَاطِنِ ضَعْفِهِمْ، وَيُعَلِّقُهُمْ بِمَا لَا يَجْلِبُ لَهُمْ نَفْعًا وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ ضَرًّا.

وَتَحَرَّوْا فِي سُـؤَالِكُمْ عَنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ وَالتَّفْسِـيرِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ إِنْ كَانَ لِذَلِكَ حَاجَةٌ أَوْ رَغْبَةٌ، وَاعْتَمِدُوا عَلَى اللهِ فِي كُلِّ شُؤُونِكُمْ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ فِي كُلِّ أَحْوَالِكُمْ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَ ﷺ قَالَ:

«إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْـلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّـالِحَةِ بُشْـرَى مِنَ اللهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّـيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَـهُ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ» رواه مسلم.

اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ.

صَـلُّوا وَسَـلِّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكُمُ اللهُ بِالصَّـلَاةِ وَالسَّـلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ قَوْلًا كَرِيمًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ [سورة الأحزاب: ٥٦].

اللَّهُمَّ صِـلِّ وَسَـلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُـولِكَ مُحَمَّدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الْأَرْبَعة -أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ- وَعَنْ سَائِرِ الآلِ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ وَإِحْسَانِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانْصُرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَئِمَّتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، وَارْزُقْهُمُ الْبِطَانَةَ الصَّالِحَةَ النَّاصِحَةَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَاجْمَعْ عَلَى الْحَقِّ كَلِمَتَهُمْ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا وَوَالِدِينَا عَذَابَ الْقَبْرِ وَالنَّارِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)﴾ [سـورة النحل: ٩٠]، فَاذْكُرُوا اللَّهَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْـكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.